

كلمة التحرير

إن الزمن عنصر هام من عناصر الإصلاح فلا نكاد نعلم في التاريخ حركة إصلاحية أمر أمرها، وقرّر قرارها؛ إلا وقد لاقت من الاستكبار والإعراض والمعارضة في زمنها الأول ما كان يخيّل معه للناس أنها مقضى عليها بالموت.

والحكمة الإلهية في ذلك هي تمحيص أهلها، وتخليصهم مما عسى أن يأخذهم من الزهو والعلوّ إذا هم نالو أمنيّتهم سهلة ميسرة على سبيل المفاجأة والمنح، وفي ذلك أيضاً تثبيت لدعوة الإصلاح، وترسيخ لجذورها، فإن الزمن إذا مرّ بالشئ كان له قدم وقدم، وكان له دخول في القلوب، ونفاذ في العقول.

وكثيراً ما نرى الأمر المفاجيء يرفض وهو الحق، ويستثقل وهو المصلحة والرشد، ويزورّ عنه المدعوون إليه وفيه صلاحهم، بل حياتهم، حتى إذا مرّ زمان تهدأ في مثله عواطف الإلف القديم، والقدم المألوف؛ تهيأت الفرصة لتعقل ما لم يكن معقولا: وتقبل ما لم يكن مقبولا؟ وكما أن الزمن عنصر من عناصر التقبل للحق والإصلاح؛ هو أيضاً عنصر من عناصر التبين للباطل والفساد، فترى الناس ربما أقبلوا على باطل زين لهم، أو فساد حبّب إليهم، فلا يطن أنهم تاركوه أو منفصّون عنه، حتى إذا مرّ بهم زمان، انكشف لهم ما كان من أمره مستورا، وأزيلت عنه حجب الشهوة والهوى والتزوير، فعرفوه على حقيقته وتهيئوا لإبطاله والازورار عنه.